الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

د.صباح كاظم بحر العامري

مادة : علوم القرآن

المحاضرة رقم 5

حكمة نزول القرآن منجما

لابد من وجود حكمة الهية لنزول القرآن متفرقا على صدر النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن جملة اهم الحكم التي يمكن ادراكها من نزوله منجما الآتي :

- تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وآله في مقارعة المشركين وهو مفاد قوله تعالى : وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا {32/25} .

- تيسير حفظه وفهمه ومعرفة تفسيره وتأويله على الناس ، ولو انزل جملة واحدة لكان من المشقة في حفظه والعمل به الشيء الكثير قال تعالى : وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً {106/17} .

- التحدي والاعجاز . فالقرآن الكريم معجزة الله الخالدة التي لا تتقادم بتقادم الايام ، فالقرآن الكريم معجز في لفظه ومعناه ، وهو معجز في ترتيب كلماته وعددها وآياته وسوره ، وهو معجز في بيان الحقائق العلمية للخلق والحياة والموجودات ، ولايمكن ان تظهر تلك المعجزات جملة واحدة من غير ان يكون ثمة فواصل زمنية لاظهار تلك المعجزات وبيانها ، ومن تلك التبشير بغلبة الروم على الفرس وفناء امبراطورية الفرس بكل جبروتها في ذلك الوقت ، قال تعالى : الم {1/30} غُلِبَتِ الرُّومُ {2/30} فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ {3/30} فِي بِضْعِ سِنِينَ

- التدرج في التشريع ، فقد تدرج التشريع بتحريم بعض الامور التي كانت عادات اجتماعية مباحة في المجتمع الجاهلي ، ومن امثلة ذلك تحريم الخمر ، فقد نزل اولا قوله تعالى :} وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ {67/16} ، وهي اشارة الى فضل الله على الناس فيما رزقهم ، ومن ثم نهى الله تعالى ان يصلي الناس وهم سكارى بالخمر ونحوه ، قال تعالى : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ]

، وقال ايضا : يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ {219/2}

ثم حرم الله تعالى تعاطي المسكرات باجمعها وخصوصا الخمر ، فقال : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {90/5 }

- الاجمال ثم التفصيل في العقائد والاحكام .

وهنا حكمة أخرى، وفائدة كبرى، من تنجيم القرآن الكريم قد تندرج فيما سبق أو تنفصل عنه. وهي الإجمال ثم التفصيل. فمن الواضح أن الآيات والسور المكية عنيت بأصول الإيمان. وأصول العبادات

فنزول القرآن الكريم مفرقاً في نحو ثلاث وعشرين سنة تنزل الآية أو الآيات على فترات مختلفة ثم بعد نزول آخر آية منه يجده القارئ محكم التنزيل، جمِ متناسق الآيات والسور، لا تنافر فيه، ولا تعارض في معانيه، كأنما نزل جملة

- الدلالة القاطعة على ان القرآن هو كلام الله

فكان هذا دليلاً محسوساً على أنه ليس من كلام البشر لأنه لو كان من كلامهم قيل في مناسبات مختلفة، وأوقات متباعدة، وأحداث متعاقبة؛ لوقع فيه اختلاف واضح وتباين كبير بين أوله وآخره في أسلوبه، وترابطه، ومعانيه. ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا﴾[٢] فكان تنجيمه دليلاً على تنزيله ممن يعلم السر وأخفى.

مثال :

قال تعالى : اِنّ الّذِينَ جَاءُوا بالإفك عُصبَةٌ مّنكمْ لا تحْسبُوهُ شرّا لّكُم بَلْ هُوَ خَيرٌ لّكمْ لِكلّ امْرِيٍ مّنهُم مّا اكْتَسب مِنَ الاثْمِ وَ الّذِى تَوَلى كِبرَهُ مِنهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وقد ورد النص القرآني عقب رمي عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله بانها واقعت صفوان بن المعطل السلمي وكان بين اتهام عائشة ونزول القرآن الذي برأها قرابة شهر من فتور الوحي ، ولولا ذلك لقيل ان القرآن من صنع البشر وليس كلام الله ، فلا يمكن لإنسان ان يصبر كل تلك الفترة في ان يتناول عرضه الناس من دون ان يبرئها وكان جل قول النبي محمد صلى الله عليه وآله للناس انه ينتظر الوحي .

أنّ النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يملك لنفسه شيئاً إلاّ من عند الله... لم يكن له اختيار حتى في نزول الوحي. متى ما شاء الله ينزل الوحي ومتى ما شاء ينقطع، ولعل انقطاع الوحي كان ردّاً على أُولئك الذين كانوا يطالبون النبيّ بمعاجز مقترحة وفق أذواقهم، أو كانوا يقترحون عليه تغيير بعض الأحكام والنصوص، وكان(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لهم: (قل ما يكون لي أن أُبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلاّ ما يوحى اليّ...)